العودة

(عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدها
قد تغيَّرت حالها)

هذه الكعبةُ كنّـا طائفيهـا
والمصلّين صـبـاحـاً ومـسـاءَ
كم سجدنا وعبدنا الحسنَ فيها
كيف بالله رجعنا غربـاءَ

* * *

دارُ أحـلامي وحبي لقيتْـنـا
في جمودٍ مثلما تلقى الجديدْ
أنكـرتنـا وهي كـانت إن رأتنـا
يضحكِ النورُ إلينا من بعيدْ

* * *

رفـرف القلبُ بجنبي كـالـذبيـحْ
وأنـا أهـتـف: يـا قـلب اتَّئِدْ
فيجيبُ الدمعُ والماضي الجريحْ
لِمَ عُـدنـا؟ لَيت أنّـا لَم نعُـدْ!

* * *

لمَ عُدْنَا؟ أو لَمْ نَطو الغَرَامْ
وفَرَغْنَا مِن حـنـيـنٍ وألَـم
ورَضـيـنـا بـسـكـونٍ وسـلامْ
وانتهينا لـفـراغٍ كـالـعَـدَمْ؟!

* * *

أيـهـا الـوكـر إذَا طـارَ الأليفْ
لا يَـرَى الآخـرُ معنًى للسمـاءْ

ويَرَى الأيامَ صفراً كالخَريفْ
نائحاتٍ كـريـاحِ الـصَّـحـراءْ

* * *

آه مـمـا صـنـع الـدهـرُ بـنـا
أو هـذا الـطلَلُ الـعـابسُ أنتَ!
والخيـالُ الـمـطرقُ الـرأس أنـا
شـدَّ مـا بتنـا على الضنْكِ وبِتَّ

* * *

أيـن نـاديـك وأيـن الـسـمـرُ
أيـن أهـلوك بـسـاطـاً ونـدامى
كـلمـا أرسلتُ عـيـنـي تـنـظرُ
وثبَ الـدمـعُ إلى عيني وغـامَـا

* * *

مـوطنُ الحسنِ ثـوى فيـه السأمْ
وسـرت أنـفـاسُـه فـي جـوِّهِ
وأنـاخَ الـلـيـلُ فـيـه وجـثـم
وجـرَت أشـبـاحُـه في بـهـوهِ

* * *

والبلى! أبـصـرتُـه رأيَ العيـانْ
ويـداه تـنـسـجـان الـعـنـكـبـوتْ.
صحتُ! يا ويحك تبدو في مكانْ
كـل شيء فيـه حيٌّ لا يمـوت!

* * *

كـل شـيء مـن سـرورٍ وحَـزَنْ
والـلـيـاليْ مـن بهـيـجٍ وشـجى

وأنـا أسـمـع أقـدامَ الـزمـنْ
وخُـطى الـوحـدةِ فـوق الـدرج

* * *

ركنيَ الحـاني ومغنـايَ الـشفـيقْ
وظـلالُ الخلدِ للعـاني الـطليـحْ
عـلم اللهُ لـقـد طـال الـطريـقْ
وأنـا جئتـك كيـمـا أستـريـح

* * *

وعـلى بـابِـك ألـقي جَـعـبـتي
كـغـريبٍ آبَ مـن وادي المـحنْ
افيك كف اللهُ عني غربتي
ورسا رحلي عـلى أرضِ الـوطـن!

* * *

وطـني أنـتَ ولـكـنـي طـريـدْ
أبـديُّ النفي في عـالَمِ بؤسي!
فـإذا عـدتُ فـللنـجـوى أعـودْ
ثم أمضي بعـدمـا أفـرِغُ كـأسي!